مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد السادس والعشرون - المجلد الرابع - التاريخ - تشرين أول 2025م
doi.org/10.52866/esj.2025.04.26.21

الأثر السياسي لفقهاء قرطبة وعصر ملوك الطوائف

أ. د. وداد كردي ثلج
Wadad.th@tu.edu.iq
بلسم حاتم حسين
Blsam.Hattim374@st.tu.edu.iq
جامعة تكريت/ كلية التربية للبنات

مستخلص:

فتح المسلمون قرطبة على يد القائد طارق بن زياد وجيشه الجرار الذي استطاع السيطرة على تلك المدينة الحيوية بعد نزاع طويل مع القوط، وانتقل بعد هذا الفتح الكثير من فقهاء المسلمين الى قرطبة وكانت في قرطبة وفرة من العلماء الذين أبدعوا في شتى مجالات المعرفة ولاسيما الدينية والفقهية.

تُعدّ مرحلة الإمارة الأموية في الأندلس (138هـ – 316هـ) من أكثر الفترات حساسية في تاريخ الإسلام الأندلسي، لا سيما على مستوى التأسيس السياسي وبناء الشرعية. وقد كانت قرطبة، عاصمة الإمارة، مركزًا للثقلين: السياسي والديني. وفي قلب هذا المشهد، برز فقهاء قرطبة كقوة معرفية وأخلاقية لعبت دورًا مزدوجًا، تمثّل في المحافظة على الهوية الإسلامية في سياق جغرافي مغاير من جهة، والتفاعل – أو التصادم – مع السلطة الحاكمة من جهة أخرى.

إن هذه الدراسة لا تنظر إلى فقهاء قرطبة كمجرد فاعلين دينيين، بل كفاعلين سياسيين أيضًا، شاركوا في إنتاج خطاب شرعي يضفي المشروعية على الحكم أو يسحبه عنه بحسب الظرف التاريخي. فالعلاقة بين الفقه والسلطة في عصر الإمارة ليست علاقة خضوع مطلق ولا تمرد دائم، بل علاقة جدلية اتسمت بالتفاوض الرمزي حول مفاهيم مركزية مثل: الشرعية، البيعة، الشورى، الأمر بالمعروف، والسكوت الفقهي.

الكلمات المفتاحية: الفقهاء، قرطبة، مالك بن انس، المالكية، ابن حزم .

Abstract

Muslims conquered Cordoba at the hands of the commander Tariq Ibn Ziyad and his massive army, who were able to seize control of this vital city after a long Goths. After this conquest, many Muslim jurists moved to Cordoba, which was home to an abundance of scholars who excelled in various fields of knowledge, especially religion and jurisprudence.

The Umayyad emirate in Andalusia (138 AH - 316 AH) was one of the most sensitive periods in the history of Andalusian Islam, particularly in terms of political establishment and legitimacy. Cordoba, the emirate's capital, was a center of power: both political and religious. At the heart of this scene, Cordoba's Jurists emerged as a cognitive and moral force that played a dual role: preserving Islamic identity in a diverse geographical context, on the one hand, and interacting–or clashing–with the ruling authority, on the other point.

This study views the jurists of Cordoba not merely as religious actors, but also as political actors who participated in producing a legal discourse that conferred legitimacy on or delegitimized rule according to historical circumstances. The relationship between jurisprudence and authority in the era of the emirate was neither one of absolute submission nor permanent rebellion, but rather a dialectical one characterized by symbolic negotiation around central concepts such as legitimacy, allegiance, consultation, enjoining good, and legal silence.

Keywords: Muslim jurists, Cordoba, Malik Bin Anas, Al Malikyah, Ibn Hazm.

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين الرسول الأمين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجه الى يوم الدين.. اما بعد ...

قرطبة مدينة أندلسية تقع في غرب إسبانيا، كانت مركزاً للحضارة الإسلامية في أوربا لقرابة خمسة قرون فقد دخل الإسلام قرطبة عام 93هـ الموافق711 م، بقيادة طارق بن زياد الذي كان يقود جيوش المسلمين لفتح الأندلس ، وكان فتح قرطبة ميسورًا حيث أرسل طارق بن زياد قائده مغيثاً الرومي إلى قرطبة في سبعمائة فارس، فأقبلوا نحو المدينة ليلا ونجحوا في دخول أسوار المدينة وفتح أبوابها لجيوش المسلمين ففتحت قرطبة، وكان السمح بن مالك الخولاني هو الذي عمرها ورفعها إلى مصاف الحواضر الكبرى، وأصبحت هذه المدينة حاضرة الأندلس الإسلامية .

كان الفقهاء من الشرائح الاجتماعية المتميزة في الأندلس لما حظوا به من تشجيع وتقريب من قبل حكام بني أمية منذ عهد الأمير هشام الرضا الذي قرب إليه الفقهاء وكان لا يقطع أمراً دون مشورتهم والأخذ برأيهم. وقد استمر دور الفقهاء السياسي في عصر الخلافة حيث انتهز المنصور ابن أبي عامر تلك المكانة وسعى من خلالها لإضفاء الشرعية على حكمه والحجر على الخليفة هشام المؤيد وحكم الأندلس باسمه من خلال الفقهاء. كما حاول عبد الرحمن شنجول الاعتماد عليهم عندما فكر في نقل الخلافة من بني أمية إلى العامريين وذلك بتعيين نفسه وليا لعهد هشام المؤيد. وفي الوقت الذي فشلت فيه هذه المحاولة 399هـ/ 1009م، كان الفقهاء قد وصلوا إلى مكانة اجتماعية وسياسية متميزة في قرطبة. ورغبة منهم في المحافظة على هذه المكانة فقد شاركوا في الصراع الدائر حول الخلافة وشاركوا في المعارك كمعركة قنتيش وعقبة البقر 400هـ/ 1010م ولعبوا دورا في عقد الصلح مع النصارى وفك الحصار عن قرطبة. وبعد سقوط خلافة بني أمية عام 422هـ/ 1031م وقيام حكم الجماعة بزعامة الوزير أبي الحزم ابن جهور، واستقرار الأوضاع السياسية في قرطبة. اعتمد ابن جهور في حكمه على الشورى فكان لا يقطع أمرا دون مشورة الفقهاء والوزراء وغيرهم.

تم تقسيم هذا البحث الى خمسة مباحث تناولنا فيها فقهاء قرطبة حسب مراحل وعهود زمنية مرت فيها قرطبة وهذه المباحث هي المبحث الاول: فقهاء قرطبة والسلطة الحاكمة وفيه نتكلم عن بداية انتشار الفقه المالكي وموقف فقهاء قرطبة والأمير الحكم بن هشام الأول وتحدثنا عن فقهاء قرطبة المشاورين ودورهم السياسي. اما المبحث الثاني فيتحدث عن فقهاء قرطبة في عهد الخلافة (316-422هـ/ 1030-928م) وقرطبة في عصر الخلفاء ودور الفقهاء في تشكيل الجبهة الاسلامية. أما المبحث الثالث تحدثنا فيه عن فقهاء قرطبة وعصر الطوائف وقرطبة في عهد ملوك الطوائف في الأندلس ودور الفقهاء في تشكيل الجبهة الإسلامية. اما المبحث الرابع فانه يتحدث عن فقهاء قرطبة في عصر المرابطين وقرطبة في عصر دولة المرابطين وموقف فقهاء قرطبة في عصر المرابطين. وأخيرا المبحث الخامس: فقهاء قرطبة والسلطة الحاكمة في عصر الموحدين (515- 565هـ/ 1121-1269م)، وقرطبة في عصر دولة الموحدين وموقف فقهاء قرطبة في عصر الموحدين.

المبحث الاول:

فقهاء قرطبة والسلطة الحاكمة

أولاً: بداية انتشار الفقه المالكي

بدأ عصر الإمارة الأموية في الأندلس سنة (316-138هـ/ 929-755م)، أي منذ وصول (عبد الرحمن بن معاوية الداخل) وتأسيس إمارة أموية مستقلة عن الخلافة العباسية في المشرق، واستمرت هذه الإمارة حتى إعلان الخلافة في زمن عبد الرحمن الناصر سنة (316هـ/ 929م). [1]

انتشر المذهب الأوزاعي في الاندلس نسبة إلى الفقيه عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي الذي ولد في مدينة بعلبك [2] سنة(88 هـ/ 706 م) وكان هذا مذهب أهل الشام فقد حمله المهاجرون والقادمون من بلاد الشام إلى الأندلس في عصر الولاة (95- 138هـ/ 713- 755م) مع الوالي بلج بن بشر القشيري، [3] ونال قبول أهل الأندلس لأنه يدعوا بتشريعاته إلى الجهاد [4].

وفي عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن (172- 180هـ/ 788- 796م) بدأ أهل الأندلس بالتحول من المذهب الأوزاعي إلى المذهب المالكي وهو مذهب أهل المدينة ومن أهم أسباب انتشار الذهب المالكي هو تأثر بعض الحُجاج الأندلسيين بفقهه عند زيارتهم المدينة المنورة وبعضهم تتلمذ عليه ودرسوا كتابه المشهور (الموطأ) وعند عودتهم بدأوا بنشر كتابه ومذهبه، فضلاً عن موقف الإمام مالك من الخلافة العباسية فاصدر الامام مالك فتوى بحل البيعة من بني العباس فقامت الخلافة العباسية بسجن الإمام مالك وضربه بالسياط ولهذا السبب وافق الأمويون على إدخال مذهبه للأندلس. [5]

ومن الاسباب الاخرى لانتشار المذهب المالكي في قرطبة هي الطبيعة الجغرافية والاجتماعية لبلاد الأندلس وسُكانها حيث كان مذهب الامام مالك يُناسب عقليتهم [6]، فكان آنذاك معاصراً للأمير هشام بن عبد الرحمن مُعجباً به لا يكف من الثناء عليه وكان ذلك يبلغ هشاماً فيفرحه كثيراً، فلما وفد على الأندلس طلاب الامام مالك الذين درسوا

(1) الخلف، سالم بن عبد الله، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، مطبعة عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، (المملكة العربية السعودية، 2003م)، ج1، ص50.

(2) بعلبك: مدينة قديمة بينها وبين دمشق مسير ثلاثة أيام. ينظر: ياقوت الحموي، أبو عبد الله (ت626هـ/ 1228م)، معجم البلدان، دار الفكر، (بيروت، د.ت)، ج1، ص453.

(3) بلج بن بشر القشيري (ت 124هـ/ 742م): هو بلج بن بشر بن عياش القشيري، نسبة إلى قبيلة قشير، من قبائل قيس عيلان، تولى إمرة ولاية طنجة فيما يعرف فيها بعصر الولاة، توفي بعد أحد عشر شهراً من توليه الأندلس. ينظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت 456ه/ 1063 م)، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، ط3، (بيروت، 2003 م)، ص179.

(4) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630 هـ/ 1232م)، الكامل في التاريخ، تحق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط2، (بيروت ،1415هـ)، ج5، ص 120؛ لسان الدين ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد (ت 776هـ/ 1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1424 هـ)، ج1،ص19.

(5) الفاسي ، محمد بن أحمد بن علي (ت 832هـ/ 1428 م)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2000م)، ج2، ص210.

(6) أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم (ت 333هـ/ 944م)، طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، د.ت)، ص107.

عليه من أمثال: الغازي بن قيس [1] وغيرهُ.

فرحب هشام به وأذن له بتدريس مذهب مالك بين المسلمين بالأندلس وأخذ القضاة بالحكم به، ثم أتخذ كبار المالكية قضاة وفقهاء ومن اهل الشورى يستفتيهم فيما يحتاجه، وشيئاً فشيئاً أصبح المذهب المالكي المذهب الرسمي في الأندلس وهو العنصر الحضاري الوحيد الذي قبلته الإمارة الأموية الأندلسية خارجاً من نُظُم الأمويين في المشرق. [2]

ثانياً: موقف فقهاء قرطبة من الأمير الحكم بن هشام الأول (180-206هـ/ 798-822م)

وفي عهد الأمير الحكم بن هشام ، سار في بداية أمره على نحو مغاير للسياسة التي اتبعها أبوه، نتيجة تدخُّل العلماء والفقهاء في شؤون الدولة، على خلفية سلوكياته السيئة التي كان يمارسها، فعمل على إقصاء الفقهاء، ومنعهم من التدخل في شؤون الحكم، واقتصر عملهم على إقامة الشعائر الدينية والفصل في القضايا الفقهية، فثارت ثائرتهم وراحوا يحاربونه ويحرضون العامة عليه في قرطبة سنة (202هـ/ 818م)[3] مما أدى إلى اندلاع (**ثورة أهل الربض**) التي حدثت في قرطبة كانت هي الأشد خطراً وكانت السبب في تلقيبه بالربض، وقد اشتعلت هذه الثورة في (سنة 202هـ/ 825م) نتيجة اعتداء أحد حراس الأمير الحكم على حداد لصقل السيوف في حي الربض وقتله، فتجمع الناس على حارس الأمير من المماليك وقتلوه واندلعت الثورة وقصدت جموع الثوار إلى قصر الأمير الحكيم لمهاجمته بمساعدة بعض الفقهاء بسبب سوء سياسة الأمير الحكم باستخدام مبدأ القوة والبطش والعنف مع الرعية واباحة شرب الخمر في قرطبة لقول ابن الاثير: [4] «**ان الحكم في صدر ولايته تظاهر بشرب الخمر والانهماك في اللذات وكانت قرطبة دار علم وبها فضلاء في العلم**»، فقام الفقهاء في دعم الثورة لأن الأمير الحكم جردهم من كافة صلاحياتهم التي تمتعوا بها سابقا فضلاً عن ان الأمير الحكم كان ميالاً إلى اللهو والشرب وهذا يتعارض مع الشريعة الإسلامية، وقد تمكن الأمير الحكم إخمادها بقسوة بعد إشعال النيران في مساكنهم وأسواقهم فأسرعوا بالعودة حيث قابلهم

(1) الغازي بن قيس (ت 199هـ/ 814 م): أبو محمد الغازي بن قيس الأموي فقيه ومُحدّث أندلسي، فسمع الموطأ من مالك ودرسه في قرطبة، فكان له أثر كبير في نشر المذهب المالكي في الأندلس. ينظر: الإشبيلي محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج (ت 379هـ/ 989 م)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف للنشر، ط2، (مصر، د.ت)، ص 254؛ ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر(403هـ/ 1012م)، تاريخ علماء الأندلس، تحق: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط2، (القاهرة، 1988م)، ج1، ص 387.

(2) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد (ت 1041هـ/ 1631م)، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ الشلبي، مصطفى الشيبا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1942 م)، ج 3، ص 11.

(3) ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت 695هـ/ 1295م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحق: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة للنشر، ط3، (د.م، 1983م)، ج2، ص71؛ المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك (ت 703هـ/ 1303م)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحق: إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، (تونس، 2012م)، ج2، ص140.

(4) الكامل في التاريخ، ج5، ص 335.

فرسان الأمير وكان الجند المدافعين عن القصر قد هاجموا الثوار من الخلف فوقع هؤلاء بين نارين وقُتلت أعداد كبيرة فأضرموا النار في الربض وانهزم أهله وقتلوا مقتلة عظيمة وأخرجوا من وجدوا في المنازل والدور فأسروهم ، وصلبهم وعم القتال والخراب في أرباض قرطبة ثلاثة أيام [1]، ثم استشار الحكم عبد الكريم بن عبد الواحد بن عبد المغيث،[2] فأشار عليه الصفح عنهم والعفو وأشار غيره بالقتل فقبل قوله وأمر فنودي بالأمان على أنه من بقي من أهل الربض بعد ثلاثة أيام قتلناه وصلبناه فخرج من بقي بعد ذلك منهم مستخفياً مع اسرته وهاجر ، و لما انقضت الأيام الثلاثة أمر الحكم بكف الأيدي عن حرم الناس وجمعهن إلى مكان وأمر بهدم الربض القبلي[3] واعطى اهل الربض الامان شريط ان يرحل المشتركون في الثورة عن قرطبة مع اهلهم وعيالهم، وقام الحكم بهدم الربض بأكمله وصيره على عظمه واصالة بنائه مزرعة. وتفرق اهل الربض في جميع أنحاء الاندلس، ومنهم من جاز المضيق إلى شمال أفريقية، فسكن عدد منهم في مدينة فاس، وسكن آخرون في مناطق أخرى [4].

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص 413؛ ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص42.

(2) أبو حفص عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث الرومي: تولى قيادة بعض حملات الدولة الأموية في الأندلس في عهد الأمراء هشام الرضا والحكم الربضي وعبد الرحمن الأوسط، كان حكيماً، شارك في الفتح الإسلامي للأندلس، وولاة طارق بن زياد قيادة السرية التي فتحت قرطبة توفي سنة (209 هـ/ 824 م) ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص413.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص413.

(4) ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ج ص376؛ ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص42.

وشهد عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط استمراراً لسياسة والده الأمير عبد الرحمن[5]، فكان عهده عهد ازدهار سياسي ، اذ أنكر جماعة من أهل الرأي على بقي بن مخلد بن يزي[6] قراءة كتاب في الحديث وعلم الأمير بأمره أمر أن يقرأ الكتاب ، وعندما أنهى قراءته أمر الأمير خازن الكتب أن ينسخ نسخة من الكتاب ويضعها في الخزانة الأميرية، كما أمر بقي في الاستمرار في نشر علمه حتى ينتفع الناس من علمه و ونهى من خالفوه الرأي التعرض له[7] ومن الأمثلة الأخرى على اهتمام الأمير محمد بن عبد الرحمن بالعلماء، احتوائه للفقيه القرطبي قاسم بن محمد بن سيار (ت 278/ هـ 891 م)[8]، وكان قد رحل إلى المشرق

(5) الحميدي ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس،ص11.

(6) بقي بن مخلد بن يزيد (ت276 هـ/ 840 م): أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد القرطبي الفقيه المالكي الأندلسي، ولد سنة (201 هـ/ 816 م) وسمع في الأندلس من عدد من علمائها وارتحل الى الحجاز ومصر ودمشق وبغداد والكوفة والبصرة، وأدخل بقي بن مخلد مصنف ابن أبي شيبة وكتاب الأم للشافعي ومصنف في (فتاوي الصحابة والتابعين)، له كتاب (تفسير للقرآن) وكتاب في الحديث رتبه على أسماء الصحابة، وكتاب عن فتاوى الصحابة والتابعين. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص 107؛ أبن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578 هـ/ 1182م)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحق: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي للنشر، ط2، (د.م، 1955 م)، ص119.

(7) ياسين ، معالي محمد علي، الأوضاع العلمية في الأندلس خلال عصر الإمارة الأموية وعلاقاتها مع بلاد المغرب والمشرق، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، (فلسطين، 2017م)، ص49.

(8) قاسم بن محمد بن سيار (ت 278/ هـ 891 م): هو قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار الأموي،

وتعلم على يد كبار الشيوخ في المذهب الشافعي[1] وحينما عاد إلى الأندلس اختلف مع اتباع المذهب المالكي الذي يقوم على الحفاظ على آراء من سبقهم وعدم قبولهم للتجديد، وقرر أن ينشر بين طلبته مبادئ المدرسة الجديدة، عن طريق التعليم والتأليف.

ان كل هذا الاهتمام بالفقهاء ادى إلى ازدياد تطور الحركة الثقافية ونموها في الأندلس، امتدت على مدار حكم الأمير عبد الله (229 هـ/ 844م – 300 هـ/ 912م) ، اما مدة حكم الأمير المنذر بن محمد حيث لم يدم حكمه سوى سنتين ، وبسبب انشغاله بمقارعة ثورة عمر بن حفصون **(ت 306 هـ/ 918 م)** أحد أشهر معارضي سلطة الدولة الأموية في الأندلس اذ عاصر ابن حفصون في ثورته أربعة من الأمراء الأمويين من عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن وحتى عهد عبد الرحمن الناصر لدين الله وسيطر خلالها على مناطق كبيرة في جنوب الأندلس، ولاقت حركته ترحيب من أعداد كبيرة من سكان تلك المناطق من المولدين والمستعربين، وقاومتها سلطات الدولة بحزم إلى أن أنهى عبد الرحمن الناصر لدين الله حركة ابن حفصون وحلفائه تمامًا سنة (316 هـ/ 928 م)[2] .

ثالثاً: فقهاء قرطبة المشاورين ودورهم السياسي

كان للفقهاء المالكيين دوراً سياسياً كبيراً في عصر الامارة اي كان لكل امير فقهاء يشاورهم في الامور السياسية والافتاء فيها ، وفيهم من تسنم مناصب رفيعة في السلطة منهم ، و **أبو عبد الله محمد بن خالد بن مرتنيل(ت 220هـ/ 835 م)** مولى عبد الرحمن بن معاوية كان فقيهاً مالكياً ومحدث، تولى الحسبة للأمير عبد الرحمن بن الحكم، والصَّلاة اشتهر بحزمه وورعه في اصدار الاحكام[3]، و **القاضي الفرج بن كنانة الكناني (ت 227هـ/ 841م)** ، كان فقيهاً مالكياً حاذقاً في الاحكام ، ولاه الحكم بن هشام بن عبد الرحمن قضاء قرطبة سنة (278هـ/ 891 م) الأمير الحكم ولاه سرقسطة عند انتقاض طاعة بعض أهلها، فكان مصلحاً بينهم وصلحت به أحوالهم[4]، و**القاضي قطن بن جزء التميمي** ولاه

الأندلسي القرطبي، من أعلام الفقهاء والمحدثين في الأندلس، كان مولى للخليفة الوليد بن عبد الملك. وهو أحد المجتهدين في المذهب الشافعي. ينظر: ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن أبي نصر (ت 475هـ/ 1082 م)، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، دار الكتب العلمية للنشر، (بيروت، 1411هـ)، ج1، ص 442.

(1) المذهب الشافعي: ظهر المذهب الشافعي على يد أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي القرشي المطلبي، في القرن الثاني الهجري، وانتشر المذهب في العراق والمشرق وآسيا الوسطى واعتمد مذهب الشافعي، ووارث علمها، ينظر: الضبي، أحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم (ت 415هـ/ 1024م)، اللباب في الفقه الشافعي، تحق: عبد الكريم بن صنيتان العمري، دار البخاري، (المملكة العربية السعودية، 1416هـ)، ج 1،ص 14.

(2) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص150.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص307؛ ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص53.

(4) الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد (ت748هـ/ 1347م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي للنشر، (بيروت، 1987م)، ج24، ص 190؛ ابن أيبك، صلاح الدين خليل الصفدي (ت 764هـ / 1362م)، الوافي بالوفيات، تحق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، (بيروت، د.ت)، ج12، ص227.

الحكم بن هِشَام الربضي قَضَاء الْجَمَاعَة بقرطبة[1].

اما **إسحاق بن إبراهيم بن حسين بن عاصم (ت 256هـ/ 869م)** فتولى أحكام الشرطة والسوق والحجابة في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن ونظم امورها بحزم، اذ اخذ بالشدة في محاسبة المخالفين [2]

أبو عمر عثمان بن سعيد العمري (ت267هـ/ 880م) الفقيه المالكي الذي يعد أول السفراء الخاصين للإمام محمد بن الحسن المهدي، ويقال له السمّان، لأنّه كان يبيع السمن للأمويين في الخفاء خوفاً من العباسيين **ووهب بن نافع الأسدي (ت 273هـ/ 886 م)** كان فقِيهاً مُشاوِراً في أيام الأمير محمد رَوى محمد بن فُطَيْس.[3] وأبو **القاسم أحمد بن بيطر (ت 303هـ/ 915 م) مولى** الأمير محمد، كان حافظاً للفقه المالكي ومشاوراً في الأحكام متقدماً للفتوى بحفظه للفقه وورعه وصلابته في الحق أثر بدوره السياسي من خلال عمله كمشاور [4] **والفقيه مُحَمَّد بن خالد بن وهب بن الصغير (ت330هـ/ 941 م)** الذي تولى قضاء اسكُونبة وكان مُشاوراً في الأحكام.[5]

اما **أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن فطيس** (ت402هـ / 1011م) كان قد ولي الوزارة للمظفر بن أبي عامر، فلما أن ولي القضاء ترك الوزراء، وكان عادلا في أحكامه الفقهية، عاش خمسا وخمسين. [6]

المبحث الثاني : فقهاء قرطبة في عهد الخلافة (316 / 422هـ / 928 - 1030م)

أولاً: قرطبة في عصر الخلفاء

بلغت قرطبة في عصر الخلافة الأموية أوج عظمتها ففي عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (300هـ-350هـ)، وابنه الحكم المستنصر بالله (366 هـ / 976 م) أصبحت قرطبة في أوج تألقها الحضاري والثقافي، فنافست قرطبة آنذاك بغداد عاصمة العباسيين والقسطنطينية عاصمة البيزنطيين والقاهرة عاصمة الفاطميين، وكان فقهاء قرطبة لهم دور كبير كسفراء ارسلهم الخليفة الى اباطرة البيزنطيين وفرنسا وايطاليا ، ومنهم الفقيه حبيب بن احمد بن محمد الشطجيري (ت 406هـ/ 1015م)[7] اذ امتاز عصر الحكم بن عبد الرحمن الناصر الذي تولى الحكم سنة (350هـ/ 961م) بازدهار العلوم والآداب في قرطبة بصورة كبيرة ، فقد كان أكثر خلفاء بني أمية حبًّا للعلم والمعرفة، وكان يبعث رجالا بأموال طائلة لاستجلاب نفائس الكتب إلى الأندلس، وأنشأ مكتبة قرطبة التي وصلت محتوياتها إلى أربعمائة ألف كتاب [8]

حرص المنصور على التقرب من الفقهاء وضمهم إلى جانبه لمكانتهم الدينية والاجتماعية المتميزة ليتقرب من خلالهم إلى السكان الذين كان يجلون الفقهاء ويقدرونهم وليكسب حكمه وقراراته شرعيه لتأييد الفقهاء له كما أنه استخدم

(1) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص 154؛ ابن ماكولا، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ج5، ص184.
(2) ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ص300.
(3) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج2، ص160.
(4) ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد (ت 799هـ/ 1396م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، (القاهرة، د.ت)، ج1، ص155.
(5) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص160.
(6) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج4، ص81.
(7) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص 259.
(8) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج2، ص7.

بعض الفقهاء لتنفيذ قراراته ومخططاته ولعل عدم معارضة الفقهاء لمبايعة هشام المؤيد بالخلافة وهو صغير السن على الرغم من وجود من هو أكبر سن وأقدر منه لتولي هذا المنصب من الاسباب التي دفعت المنصور للتقرب من الفقهاء، فشهدت المدة من سنة (399 هـ - 422 هـ/ 1008-1030م) فتنة كبيرة وتصارع على السلطة اذ كانت وفاة الخليفة الحكم المستنصر بالله إعلانًا لوفاة آخر حاكم أموي فعلي وقوي في قرطبة ، اذ أخذ البيعة لولده هشام المؤيد في حياته ليضمن أن يخلفه ابنه رغم كونه في تلك الفترة طفلاً لم يكن ليستطيع أن يقوم بمهامه، ورغم وجود عدد من الأمراء الأمويين الذين كان يمكن أن يضطلعوا بمهام الخلافة في تلك الفترة ، وهذا يعني انه كان غير مؤهل لتولي الخلافة، فتولت أمه صبح البوشنجية[1] في بداية عهد ابنها الخليفة هشام المؤيد بالله والوصية عليه، وسيطر المنصور الحاجب محمد بن أبي عامر [2]، و لم يمض وقت طويل حتى نجح المنصور بن أبي عامر في إقصاء الحاجب المصحفي، ومن بعده أم الخليفة وإبعادهم عن الحكم، وأصبح حاجباً جديداً حكم منفردًا في وجود الخليفة الشرعي هشام المؤيد بالله (354 هـ/ 965 م - 403 هـ/ 1013 م) الذي لم يمتلك ألا الاسم والشرعية ، فحوصر ووضع عليه الحرّاس ومنع من الظهور ليبدأ بذلك عصر الدولة العامرية التي مثّلت دولة داخل الدولة

انتهج العامريون نهجاً تعسفياً ، اذ ارتقوا مناصب هامة في عهد الدولة العامرية، وقربوا البربر، وابعدوا العرب عن مناصب الدولة وقيادة الجيش، وبتولي شنجول الحجابة سنة (399 هـ/ 1008م) واستمر بمحاصرة والحجر على الخليفة المؤيد بالله مما اثار الحقد في قلوب السلالة الاموية فاستغل أمير أموي يدعى محمد بن هشام، فرصة خروج شنجول في حملة عسكرية ملك قشتالة الذي كان قد أغار على ثغور المسلمين، فهاجم قصر قرطبة سنة (399 هـ/ 1008م) وخلع محمد بن هشام الخليفة هشام المؤيد بالله، وأعلن نفسه الخليفة محمد المهدي بالله، واختار سليمان بن هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر وليًا لعهده [3]، و بعث الخليفة المهدي بالله ابن عمه عبد الجبار بن المغيرة ليهاجموا قصر الحاجب ، و بلغت شنجول الحاجب أنباء الهجوم، فتوجه إلى قلعة رباح[4]، وراسل اعوانه من أهل طليطلة يدعوهم لنصرة الخليفة المخلوع، فلم يجيبوا دعوته، ثم تخلّى عن شنجول جنوده، وقبض عليه جنود محمد المهدي بالله وقتل في نفس السنة [5]، وقام محمد المهدي بالله بسجن هشام المؤيد بالله في القصر ثم نقله إلى بعض منازل قرطبة و

(1) المراكشي ، المعجب، ص29؛ أبن سعيد المغربي، أبو الحسن على بن موسى (ت 685هـ/ 1286 م)، المغرب في حلى المغرب، تحق: شوقي ضيف، دار المعارف، ط3، (القاهرة، 1955م)، ج1، ص186

(2) محمد بن أبي عامر (ت 392 هـ/ 1001 م): أبو عامر محمد بن أبي عامر، كان فقيهاَ من اصول يمنية، وتدرَّج في المناصب في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله، ونال ثقةَ زوجة الخليفة صبح البشك نجية أم الخليفة هشام المؤيد بالله، وأصبح حاجب الخليفة هشام المؤيد بالله والحاكم الفعلي للخلافة. ينظر: ابن ماكولا، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ج2، ص450.

(3) الحميدي ، جذوة المقتبس، ص28؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص107.

(4) قلعة رباح: مدينة بالأندلس تقع غرب طليطلة ولها عدّة قرى ونواح وسميت بقلعة رباح نسبة الى الشاعر الاندلسي محمد بن سعد الرباحي (ت384هـ/ 994 م). ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص23.

(5) الحميدي ، جذوة المقتبس، ص28.

اشاع بين الناس بوفاة الخليفة المخلوع، وبعد أن استقرت الأمور المهدي بالله ، أساء معاملة البربر والصقالبة الذين كانوا يشكلون قوة الجيش العامري، ولم يمنع العامة من التحرش بهم، ونفى عددا من الفتيان الصقالبة العامريين، بعد ذلك، انقلب المهدي بالله على زعماء العرب وبطش بعدد منهم، مما دعى والده هشام بن سليمان للتحالف مع البربر والعامريين لخلع المهدي، لكنهم خسروا معركتهم أمام المهدي حيث أُسر هشام بن سليمان وابنه سليمان وأخوه أبو بكر وأعدموا أباح هشام بيوت البربر مما دعاهم للرحيل عن قرطبة إلى قلعة رباح، كان ممن فر معهم أمير أموي يدعى سليمان بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله اذ تجمّع حوله البربر وبايعوه كخليفة واتخذ لقب المستعين بالله (815-775 هـ) (1430-1390م) [1].

و بعد عامين من خلافة المستعين بالله قام علي بن حمود والي المستعين بالعبور الى الجزيرة الخضراء[2] حيث التقى قوات الفتى (خيران الصقلبي) أحد موالي العامريين الذي كان قد فرّ بعد أن تولى المستعين ووحدوا جيشاً بقيادة زاوي بن زيري[3]، فسار المستعين بجيشه لقتالهم، وتقاتلوا في معركة انتهت بهزيمة سليمان ومقتل عدد كبير من أنصاره، وأسره هو وأبيه وأخيه عبد الرحمن، فدخل علي بن حمود قصر قرطبة في سنة (407 هـ/ 1016 م) وأعلن نفسه الخليفة الجديد[4].واستمرت سياسة العزل والتنصيب لخلفاء بني أمية مما أسهم في تأزم الأوضاع في قرطبة على المستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي [5].

ثانياً: موقف فقهاء قرطبة من سياسة الدولة العامرية

1. لما سئم السكان من هذا الوضع اجتمع الفقهاء أهل الحلّ والعقد واتفقوا على إسقاط خلافة بني أمية وعزل آخر خلفائها أبو بكر هشام المعتد بالله (364هـ - 428هـ) سنة (422هـ/ 1031م) لإعادة الاستقرار إلى قرطبة و التخلص من الصراع على كرسي الخلافة [6]، ولقد تباينت مواقف بعض الفقهاء من الاحداث التي حصلت في قرطبة فكان منهم من ايد ومنهم من رفض، ومنهم من ارتحل الى مدن اخرى ، فكان ممن بايع الدولة العامرية وايدها منهم **الفقيه أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن سلمة الأنصاري (ت478هـ/ 1085 م)** كان حافظًا للمسائل واماماً بالفتوى وادارة الوثائق الفقهية[7]. **والقاضي أبو الوليد يونس بن محمد بن مغيث بن الصفار (ت429هـ/ 1038م)** ولاه الخليفة المعتمد القضاء سنة (419هـ/ 1028م)، حتى

(1) الحميدي ، جذوة المقتبس، ص28.
(2) الجزيرة الخضراء: مدينة بالأندلس، تقع شرق مدينة شذونة، سكانها من البربر. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 136.
(3) زاوي بن زيري (ت 410هـ/ 1019م): زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي أول من تولى حكم غرناطة في عهد ملوك الطوائف. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص90.
(4) الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص20.
(5) المراكشي ، المعجب، ص50.
(6) أبو الأَصْبَغ، عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي الجياني (ت 486هـ/ 1093م)، الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، تحقيق: يحيي مراد، دار الحديث، (القاهرة، 2007 م)، ص 743.
(7) مخلوف ، محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2003 م)، ج1، ص 168.

وفاته [1]. **وعَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَزْمٍ (ت 456 هـ/ 1064م)** أكبر فقهاء الأندلس كان متبحراً في العلوم، ووزير سياسي، ثار عليه فقهاء المالكية وارتحل عن وطنه، احتلت أسرته مكاناً مرموقاً في عهد الحكم المستنصر، استوزره المنصور سنة (381 هـ/ 991 م)، وبلغ من شدة ثقته به أنه كان يستخلفه على المملكة أوقات غيابه عنها، وصير خاتمه في يده، كما كان من المشاركين في حركة الإفتاء بالأندلس من خلال مجالسه العلمية والمناظرات التي كانت تدور في قصره [2].

وكان ابن حزم ينتمي لأمارة سياسية عرفت بقرابتها من الخلفاء، اذ كان والده أبو عمر بن حزم يعمل وزارة محمد بن عامر [3]. **أما أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان (ت 413هـ/ 1022م)** فقد ولاه القضاء المنصور ابن أبي عامر عدة مناصب منها (رئيس مجلس الشورى، منصب الوزارة، وقاضي قضاة قرطبة)، وكان صارما في حكمه، محمود الطريقة محمود السمعة وجيها عند الخلفاء، وضل كذلك في عهد المظفر والمأمون ابني المنصور معه بعد وفاة أبيهما، ثم عزل في أيام المظفر ثم أعيد، وعندما وتوفي المظفر، فزاد أخوه المأمون (عبد الرحمن) في رفع منزلة ابن ذكوان وولاة الوزارة، ولما انتهى حكم بني عامر وقامت الفتن في قرطبة نفي ابن ذكوان وأهله إلى المرية [4]. **والفقيه أحمد بن عبد الله بن زيدون (ت394هـ/ 1003م)** تولى الوزارة لأبي الوليد بن جهور صاحب قرطبة، وكان سفيره إلى أمراء الطوائف في الأندلس [5]، ومحمد بن حدير [6]، وقلَّد الوزير محمد بن حدير النظر في مطالب الناس وحوائجهم، وتنجيز التوقيعات لهم ولا يصل أحد إلى خطة الكتابة إلا بعد اجتيازه لاختبار يمر به، فإن أثبت كفاءته نال المنصب [7].

أما خلف بن حيان (ت 356هـ/ 966م)، الذي صحب المنصور بن أبي عامر في مغازيه [8].

المبحث الثالث:
فقهاء قرطبة وعصر الطوائف

أولاً: قرطبة في عهد ملوك الطوائف في الأندلس

كانت الأندلس في عهد ملوك الطوائف مقسمة إلى عدد من الدويلات، وكانت هذه الدويلات مقسمة داخليًّا، ووصل تعداد الدويلات إلى اثنتين وعشرين دويلة، عُرفت بدول الطوائف أو ملوك الطوائف[9]، وكانت أوضاع هذه الدويلات في غاية السوء فقد كانت هناك نزاعات بين الإخوة فيما بينهم، الأمر الذي تطور إلى أن يستعين البعض بالنصارى في حربه ضد المسلمين، اذ كان هناك من يرفض هذه الأوضاع ولا يقبل أن يدفع الجزية للنصارى ، هددهم إن لم ينسحب سيستعين

(1) ابن ماكولا، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ج2، ص451.
(2) ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين بن محمد (ت 681هـ/ 1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحق: إحسان عباس، دار الثقافة، د.ط، (لبنان، د.ت)، ج3، ص 325.
(3) ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ص37.
(4) الحميدي ، جذوة المقتبس، ص130؛ أبو جعفر الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص186
(5) الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج35، ص 376.
(6) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص220؛ الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج1، ص340.
(7) لم أجد له تاريخ وفاة.
(8) ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص276؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص220.
(9) ابن سعيد المغربي،المغرب في حلى المغرب،ج1، ص411.

بالمرابطين، فانسحب على الفور، فاتفق بعض أمراء المسلمين مثل المعتمد على الله بن عباد والمتوكل بن الأفطس، وعبد الله بن بلقين صاحب غرناطة أن يرسلوا إلى دولة المرابطين، ويطلبوا منها القضاء على النصارى، وكان هذا جزءًا من توجه الفقهاء العام لإعلاء كلمة الجهاد ضد النصارى[1].

ثانياً: دور الفقهاء في تشكيل الجبهة الاسلامية

برز دور الفقهاء لتوحيد الامة الاسلامية وحماية حدود الاندلس من الاعداء والتصدِّي لهم اذ ان النزاعات احتدمت بين ملوك الطوائف، والمواقف المتخاذلة، كان لها إثر سيِّء على الفقهاء في الاندلس الذين بادروا إلى الدعوة ونبذ الخلافات لتشكيل جبهة إسلامية قوية قادرة على مواجهة الصليبيين. ومن هؤلاء الفقهاء: **والفقيه أبو محمد علي بن حزم الأندلسي (ت 456 هـ / 1064م)** من أهم العلماء الأندلسيين كذلك الذين عارضوا ملوك الطوائف على تقاعسهم في رد الخطر الصليبي، الذين تبنُّى مبدأ الواقعية والجرأة في التعبير عن معارضته لنظام الطوائف، حتى ظهور الأمير يوسف بن تاشفين، كما أدان عصر الطوائف ونعته بعصر الفتنة والغلب، بل عدَّ جَميع الأموال المتداولة في هذا العصر غير شرعية[2]. **الفقيه عمر بن الحسن الهوزني (ت460هـ/ 1067م)** الذي جسَّد بحق نموذج الشجاعة والجرأة والروح النقدية الحرة المستقلة، التي أبان عنها بعض العلماء الأندلسيين تجاه حالة التمزق التي عرفتها الأندلس في عصر الطوائف، التقى بالفقيه أبي الوليد الباجي واتفقوا على القيام بواجبهما الشرعي لمقارعة الصليبيين بالوعظ ونصح أمراء الطوائف بتوحيد شبه الجزيرة الأندلسية[3]. **والفقيه أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم القرطبي (ت 463هـ/ 1071م)** الذي كان داعياً بالوحدة واستنهاض الهمم، ومساندته لسياسة المعتضد، عاش خمسين سنة وهو يتولى شحذ الهمم ورصِّ صفوف عرب الأندلس أمام الزحف الصليبي[4].. والفقيه **عمر بن حيان بن خلف بن حيان القرطبي (ت 469 هـ/ 1076م)** من الفقهاء الذي كان يعارض أمراء الطوائف على ضعفهم وعجزهم في ردع الهجمات الصليبية والدعوة لتشكيل جبهة موحدة إسلامية لمقاوضتهم[5]. بينما **أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي (ت 474هـ/ 1082م)** من أشهر فقهاء بلاد الأندلس، الداعية الإسلامي الى توحيد الصفوف، المحذر من عواقب التفرقة والنزاع، استدعاه المقتدر بالله فسار إليه وقربه اليه ونادمه وكان المقتدر يباهي به بين الفقهاء، توفي وترك للفقهاء مستودع من المؤلفات في أصول الفقه[6]. بينما يتجلى العامل الثاني في ظهور الأمير **المرابطي يوسف بن تاشفين**[7] على الساحة السياسية، فعندما

(1) المراكشي ، المعجب، ص71.

(2) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر (ت 654هـ/ 1256م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحق، محمد بركات، كامل محمد الخراط، عمار ريحاوي، وآخرون، دار الرسالة العالمية، (دمشق، 2013م)، ج19، ص 363.

(3) ابن بشكوال، الصلة، ص137؛ ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 239.

(4) ابن بشكوال، الصلة، ص640؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص66.

(5) السامرائي ، تاريخ العرب، ص 338

(6) ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ص 382.

(7) يوسف بن تاشفين: أبو يعقوب بن تاشفين اللمتوني أمير المسلمين (410-500 هـ/ 1019-1106م)، وهو الذي اختط مدينة مراكش واجاز الاندلس وحارب النصارى في معركة الزلاقة، وانتصر فيها وأصبحت

اراد خلع ملوك الطوائف فأنه اخذ فتوى فقهاء المغرب وفتوى من فقهاء الاندلس[1] تسمح للأمير يوسف بن تاشفين بإسقاط حكم المتخاذلين، وغزو الأندلس وتوحيدها، كخطوة ضرورية وحاسمة لمجابهة التحديات النصرانية[2].

اذ ذكر الفقيه ابن العسال[3]، حال المسلمين في الأندلس بأنها بائسة يملأها القلق والرعب لتكالب أعدائهم النصارى وجبن الحكام فأنشد قائلاً:

ولقد رمانا المشركون بأسهم
لم تخط لكن شأنها الاصماء
هتكوا بخيلهم قصور حريمها
لم يبق لا جبل ولا بطحاء
جاسوا خلال ديارهم فلهم بها
في كل يوم غارة شعواء
باتت قلوب المسلمين برعبهم
فحماتُنا في حربهم جبناء[4]

فكانت معركة الزلاقة (479هـ/ 1086م) تأثيرٌ كبيرٌ في تاريخ الأندلس الإسلامي، إذ أوقفت زحف الممالك المسيحية على أراضي الأندلس وقرر الأمير يوسف بن تاشفين بعدها إنهاء حكم ملوك الطوائف بعدما وجد منهم خيانات بإبرام التحالفات مع ألفونسو السادس عدوهم اللدود، وبحلول سنة (484 هـ/ 1091 م) كان المرابطون قد ضموا معظم أراضي الأندلس عدا طائفة سرقسطة التي حافظت على استقلاليتها حتى سنة (503 هـ/ 1109م) حين ضمت فيما بعد الى سلطان المرابطين[5].

المبحث الرابع:
فقهاء قرطبة في عصر المرابطين

أولاً: قرطبة في عصر دولة المرابطين

بنيت دولة المرابطين على أسس دينية وعسكرية اتسمت بالخشونة والزهد و تميل حياة الزهد الصوفي، مما خلع عليها روح التزمت في تعاملها مع الفقهاء، ففي ظل دولة المرابطين أُحرق كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي سنة (503هـ / 1109م)، [6] اذ حدثت واقعة الحرق لكتاب الإحياء قبيل عبور الامير علي بن يوسف إلى الأندلس بمدة قليلة، وكان الامير يوسف بن تاشفين على صلة طيبة بالغزالي، ولكن الأمور تغيرت في عهد ولده علي، وكان يميل إلى إيثار الفقهاء وتقريبهم ولا يتخذ قراراً واحداً الا بمشورتهم ، وهكذا علت مكانتهم واشتد نفوذهم، حتى سيطروا فيما بعد على الدولة، وكان من أشدهم نفوذًا لدى علي بن يوسف قاضي

الأندلس تحت حكمه. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج7، ص112؛ أبو جعفر الضبي، بغية الملتمس، ص42.

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 686؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص72.

(2) التنوخي ، أبو الطاهر إبراهيم بن عبد الصمد بن بشير (ت 536هـ/ 1141 م)، التنبيه على مبادئ التوجيه، تحق: محمد بلحسان، دار ابن حزم، (بيروت، 2007 م)، ج1، ص26.

(3) عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي عرف بابن العسّال (ت487هـ/ 1094م): طليطلي الأصل، سكن غرناطة، شاعر في الزهد، وفقيه في الوعظ حفظ الحديث والآداب والنحو، وعارفا بالتفسير، توفي عمر يناهز الثمانين. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج5، ص27؛ ابن آيبك، الوافي بالوفيات، ج17، ص216.

(4) عباس، إحسان تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، دار الثقافة، (بيروت، 1962م)، ص178.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 445؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص100.

(6) عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي، ص58.

قرطبة (أبو عبد الله محمد بن حمدين[1]، وكان الفقهاء عندئذ يؤثرون علم الفروع ، وهو علم العبادات والمعاملات، ويهملون علم الأصول، وكان لا يحظى لدى أمير المسلمين، إلا من برع في علم الفروع[2].

فلما وصلت كتب الإمام الغزالي إلى المغرب والأندلس وذاع ما فيها، سخط الفقهاء المرابطون، وأنكروا كثيرًا من المسائل التي وردت في كتاب الإحياء، وزعموا أنها مخالفة للدين، وكان ابن حمدين من أشد الفقهاء مبالغة في ذلك حتى أنه قال بتكفير من قرأ كتاب الإحياء، ورفع ابن حمدين ومعه فقهاء قرطبة الأمر إلى علي بن يوسف، وأجمعوا على وجوب مطاردة كتاب الإحياء، وإحراقه فأخذ علي برأيهم وجمع نسخ الكتاب واحتفل بإحراقها في رحاب المسجد الجامع بقرطبة ونفذت كتب أمير المسلمين إلى سائر أنحاء المغرب، وشدد في ذلك حتى أنه أنذر بعقوبة الإعدام ومصادرة اموال كل من امتلك هذا الكتاب واستمرت المطاردة لمؤلفات الغزالي طوال حكم المرابطين، وجدد المرسوم بذلك في أواخر عهد تاشفين بن علي بن يوسف سنة (538هـ/ 1143م)[3].

قامت الدولة المرابطية على أساس من العقيدة الدينية، وكان منشِئُها الروحي فقيه متشدد هو عبد الله بن ياسين الجزولي[4]، وكان يتخذ من البداية صورته العلمية وسياسية اي سيطرة الفقهاء على شؤون الدولة وتوجيهاتها ، ولكن هذا النفوذ لم يلبث أن غدا في عهد ولده علي بن يوسف نوعاً من القوة والسيطرة اذ ان شخصية علي بن يوسف بالرغم من ذكائه و ورعه وتقواه من العزم والحزم لا يكفي لمغالبة نفوذ الفقهاء اذ تميز عصر المرابطين بالحَجر على حرية الفكر، ومنها الرسالة التي وجهها أمير المسلمين تاشفين بن علي إلى فقهاء بلنسية[5] وأعيانها وأهلها سنة (538هـ/ 1143م) بوجوب الرفق بالرعية، حث على مطاردة كتب البدع وتتبع أثرها[6].

ثانياً: موقف فقهاء قرطبة في عصر المرابطين

كان القضاة الفقهاء قرطبة يتمتعون في هذه الفترة بالكثير من النفوذ، وكانت لهم كلمة مسموعة في كثير من الشؤون الهامة، وكانوا في نفس الوقت رسله لتدعيم هيبته ونفوذه لدى الشعب الأندلسي،

(1) الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين الأندلسي المالكي(ت 508هـ/ 1114م)،تولى القضاء في فترة عهد الأمير ليوسف بن تاشفين، وكان ذكيا، بارعاً في العلم، متفننا أصولياً، وشاعراً حميد الأحكام. ينظر: ابن الايبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص 235؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج35،ص212.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص148؛ المراكشي، الذيل والتكملة، ج3، ص21.

(3) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص 247.

(4) عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير بن علي الجزولي (ت 451 هـ/ 1059م): من زعماء الإصلاح الإسلامي، بدأ عبد الله بن ياسين رحلته الدعوية بنصيحة وإرشاد القبائل اتباع العقيدة الإسلامية السليمة، ووضع الأسس الأولى لدولة المرابطين في المغرب العربي. ينظر: السلاوي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، (المغرب، د.ت)، ج5، ص90.

(5) بلنسية: تقع شرق الأندلس، بينها وبين قرطبة ستة عشر يوماً، من قواعد الأندلس، في مستوٍ من الأرض، وسورها مبنى بالحجر ولها أربعة أبواب. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص490.

(6) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج4، ص300.

وكان من أبرز نماذج أولئك القضاة الفقهاء **الفقيه محمد بن الوليد بن خلف المعروف بأبي بكر الطرطوشي (ت520هـ/ 1126 م) الذي** انتقل إلى سرقسطة وتتلمذ على يد أبي الوليد الباجي، كانت له رحلات علمية الى المشرق الإسلامي، اشتهر الطرطوشي من بين علماء الأندلس بالعلم والرد على المبتدعات في الدين، فأصبح من علماء أهل السنة الذين يُشار إليهم ويؤخذ من علمهم، وحصل له القبول والثناء من العلماء[1].

ذكره القاضي عياض[2]: «**وسكن الشام مدة وتقدم في الفقه مذهباً وخلافاً وفي الأصول وعلم التوحيد، وحصلت له الإمامة، ودرس ولازم الزهد والانقباض والقناعة مع بعد صيته وعظم رياسته**»، وشجب الفقهاء سياسة ملوك الطوائف قائلين للأمير يوسف بن تاشفين «**هؤلاء الرؤساء لا تحل طاعتهم ولا تجوز إمارتهم، إنهم فساق فجرة، فاخلعهم عنا، ونحن بين يدي الله**» **والفقيه عبد الله بن أبى جعفر محمد بن عبد الله بن أحمد الخشني (ت526هـ / 1131م)** فقيه المغرب وشيخ المالكية صاحب افتاء الجهاد ضد النصارى، وانتهت إليه الإمامة في معرفة المذهب والتفسير، توفي عن عمر يناهز الثمانين[3]، ومن جانب اخر ، هنالك صورة مغايرة عن الحكم المرابطي بان حكمهم كان بأساليب رجعية اثرت على سير الحركة الفكرية والعلمية للفقهاء بالأندلس، وعاقها عن التقدم ومن هؤلاء الفقهاء أبو العباس أحمد بن محمد الصنهاجي[4] حيث نفاه الامير من بلدة المرية إلى مراكش[5].

وأبو الوليد محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن أحمد بن أحمد بن رُشْد الأندلسي(ت 595 هـ/ 1198م) تولى قضاء قرطبة في عهد المرابطين حفظ موطأ الإمام مالك ، وعُين لأبي يعقوب خليفة الموحدين طبيباً له ثم قاضياً في قرطبة، تولّى ابن رشد منصب القضاء في إشبيلية، تعرض ابن رشد في آخر حياته لمحنة حيث أبعده أبو يوسف يعقوب إلى مراكش وتوفي فيها[6] و الفقيه القاضي عبد الله بن أحمد بن الحسن الخالدي السلاوي شارك في الجهاد ضد النصارى، في معركة وادي المخازن الشهيرة، كما شارك في معارك ضد البرتغاليين بالرباط وسلا، توفي عبد الله بن حسون بسلا[7].

وبرز دور الفقهاء المالكية بتحريض ابن تاشفين للقضاء على ملوك الطوائف منهم **الفقيه يعلى المصمودي** قاضي قرطبة، الذي عبر إلى المغرب وأخبر أمير المرابطين ببعض الأمور التي تتعلق بملوك الطوائف وبخاصة الأمير عبد الله بن بلقين ملك غرناطة[8]، ان هذه المكانة الرفيعة

---

(1) ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص221.

(2) السلاوي ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 6،ص 109.

(3) ابن بشكوال، الصلة، ص 284.

(4) هو أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي (ت 921 هـ/ 1515م): المعروف بابن العريف، فقيه، من علماء المغرب، أندلسي الأصل، مالكي المذهب. ولد ونشأ بغرناطة، وانتقل مع أبيه إلى فاس، فكان خطيب جامع القرويين وتوفي بها. لم يذكروا له تصنيفا وإنما وجد له كتاب صغير، باسمه. ينظر: السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد (ت 902هـ/ 1496 م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت)، ج2، ص 264.

(5) الشنتريني الذخيرة، ج3، ص220.

(6) الشنتريني، الذخيرة، ج3، ص221.

(7) المراكشي، الذيل والتكملة، ج5، 342

(8) القاضي عياض بن موسى بن عمرون (ت 544هـ/ 1149م)، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تحق: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، (مصر،

تبوأها الفقهاء في الدولة المرابطية أدت الى تحسين الواقع المعيشي لهم لقول المراكشي[1] «**عظم الفقهاء، وانصرفت وجوه الناس إليهم فكثرت لذلك أموالهم، واتسعت مكاسبهم**»، واشار ابن الأثير[2] عن اكرام الامير يوسف للفقهاء قائلاً:«**ازداد في إكرام العلماء والوقوف عند إشارتهم، وكان إذا وعظه أحدهم وقف عند استماع الموعظة**» ، حتى بلغت ثروات بعض الفقهاء عجز عن إحصاء الضياع والاراضي المملوكة منهم القاضي فقيه غرناطة محمد بن الحسن بن كامل : «**لم يكن ببلده نظيره في سعة الحال وكثرة المال**» ، وكان الفقيه أحمد بن جعفر بن سفيان المخزومي[3] «**من أهل الثروة واليسار**» ، و» امتلك الفقيه أبو بكر بن خلف الأنصاري [4] ، كما نال الفقيه(ابن ورد) من الثروة والجاه والسلطان[5] وكان قاضي الجماعة الفقيه أبو عبد الله بن حَمْدِين فقد كان مقربًا للمرابطين: «**في ما عسى أن يُشكِلَ عليه من نَوازِلِ الأحكام فيُجيبُه**»[6].

كما كان للفقهاء شرف تسلم المناصب العليا في ذلك العصر خصوصًا خطط القضاء والحسبة، ويشير المقري إلى أن «**خطة القضاء هي أعظم الخطط عند الخاصة والعامة**». ولذلك قال الباجي[7] في وصيته لولديه: «**هل تريان أحدًا أرفع حالًا من العلماء، وأفضل منزلة من الفقهاء، يحتاج إليهم الرئيس والمرؤوس، ويقتدي به الوضيع والنفيس**».

ويبدو مما ورد تعدد إسهامات الْفُقَهَاء في ميدان الجِهَاد؛ فبعضهم كان يحث النَّاس على الجِهَاد بالخطب، كما صدرت عنهم الفتاوى والرسائل والأشعار والمُؤلَّفات التي تعمل على استنهاض مسلمي الأَنْدَلُس للجِهَاد ضد الأعداء، كما كان لهم أثر في النفقة لمصلحة الجِهَاد، كما شارك عدد كَبِير منهم في الجِهَاد ومنهم من استشهد (رحمهم الله).

المبحث الخامس: فقهاء قرطبة والسلطة الحاكمة في عصر الموحدين (515 - 565هـ / 1121م - 1269م)

أولاً: قرطبة في عصر دولة الموحدين.

تسمى الموحدين بهذا الاسم نسبةً للتوحيد، ويمكن اعتبارهم من المعتزلة[8]، والتوحيد أصلٌ

1982م)، ص63.

(1) الذيل والتكملة، ج5، ص315.

(2) الكامل في التاريخ، ج8، ص531.

(3) ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص69.

(4) أَبُو بَكْر بْن خَلَف الأَنْصَارِيّ (ت 599هـ / 1202 م): الْفَقِيه من أَهْل قرطبة، سكن مَدِينَة فاس يعرف بالمواق، كَانَ حَافِظًا فِي علم الْفِقْه وَالْخلاف وملازمًا للتدريس فيه وعالماً بالْأَسَانِيد وَالرِّجَال والزيادات، حظي بِخِدْمَة السّلطان بمراكش فنال دُنْيا عريضة واعتقد أَمْوَالًا جليلة وَولي قَضَاء مَدِينَة فاس وتُوُفِّيَ بهَا. ينظر: ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص180؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج42، ص 423.

(5) عبد الملك بن محمد بن عمر بن ورد الحافظ (ت 580هـ/ 1184م): فقيه المالكية في قرطبة، وكان حافظًا للمسائل متحقِّقًا بالرأي مُشاوَرًا بَصيرًا، اشتغل بالتدريس والتأليف، توفي في أشبيلية وهو ابن تسعين سنة. ينظر: ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص65؛ المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ج3، ص28.

(6) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1،ص217.

(7) الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي (ت 474 هـ/ 1081 م)، الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل، تحق: محمد علي فركوس، دار البشائر الإسلامية (بيروت، 1996 م)، ص99.

(8) المعتزلة : هو الانفصال والتنحي، ويقال اعتزلت القوم أي فارقتهم وتنحيت عنهم، وسميت المعتزلة (العدلية) لاعترافهم بعدل الله ويلقب المعتزلة ب (القدرية). ينظر: أبو طالب المكي، ابن علي بن عطية، (386هـ/ 996م) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق

من أصولهم ويعنون به نفي جميع الصفات عن ذات الله تعالى، ولقب ابن تومرت[1] نفسه بالمهدي، وقد أوجب طاعته على أتباعه واعتبرها من طاعة الله ورسوله، وتمسك بالتفسير الظاهري للنصوص اذ قام خلاف شديد بين الفقهاء في مسألة التفسير بالرأي فمنعه البعض وأجازه البعض أما المانعون فقد ذهبوا إلى حظره وتحريمه، حيث قالوا إن التفسير بالرأي قول على الله بغير علم، وهو غير جائز[2].

واستدلوا بالآية الكريمة ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[3] وفهموا من الآية أن البيان للرسول ﷺ، وليس لغيره إلا أن ينقل قوله بعد تحري ما صح[4]، واستدلوا بالحديث : ((**اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم ، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، ومن قال في القرآن برأيه، فليتبوأ مقعده من النار**))[5] واستدلوا بامتناع كثير من الصحابة و السلف من القول في تفسير القرآن، كقول أبي بكر ﷺ «**أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللهِ مَا لَا أَعْلَمُ**»[6]، وأما المجيزون فقد ناقشوا هذه الأدلة وبينوا أنها لا تنطبق عليهم ، حيث قالوا ليس في التفسير بالاجتهاد قول على الله بغير علم ، و إنما هو استخدام العقل في فهم كتاب الله العظيم واحتجوا بالحديث المشهور عندما سأل النبي ﷺ معاذ عندما بعثه لليمن فقال ((**كَيْفَ تَقْضِي؟، فَقَالَ: أَقْضِي بِمَا فِي كِتَابِ اللهِ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللهِ؟، قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي، قَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ**))[7].

حارب الموحدون الفقهاء المالكية الذين يفسرون بالرأي والاجتهاد وقاموا بسجنهم وتعذيبهم لأنهم أدركوا الدور الخطير الذي كان يلعبه الفقهاء المالكية في إضفاء الشرعية على السلطة القائمة، لذا حاربهم واحرقت كتبهم[8]، اذ ذهب الخليفة

المريد إلى مقام التوحيد، تحق: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، ط2، (بيروت، 2005 م)، ج2، ص145.

(1) ابن تومرت: هو محمد بن تومرت بن عبد الله بن يا مصال من قبيلة مصمودة الأمازيغية (524 هـ/ 1130م)، مؤسس الدولة الموحدية، بدأ دعوته سنة (515هـ/ 1121م) والتي قامت على فكرة المهدي بن تومرت. ينظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج20، ص260.

(2) القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (671هـ/ 1272م)، الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، (القاهرة، د.ت)، ج1، ص34.

(3) سورة النحل، الآية: 44.

(4) الثعلبي ، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (427هـ/ 1035م)، تفسير الثعلبي، تحق: أبي محمد بن عاشور، تحق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي (بيروت، 2002م)، ج3، ص14.

(5) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ/ 1505م)، إتمام الدراية لقراء النقاية، تحق: إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1985م)، ص 22.

(6) ابن أبي شيبة الكوفي، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت 235هـ / 946 م) المصنف في الأحاديث والآثار تحق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، (الرياض، 1409 هـ)، ج6، ص136.

(7) الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة (ت 279هـ/ 892 م)، السنن، تحق: إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، (مصر ،1975 م)، ج3، ص608، حديث رقم (1327). باب: مَا جَاءَ فِي القَاضِي كَيْفَ يَقْضِي؛ أحمد بن حنبل، مسند الإمام احمد، ج5، ص230.

(8) التبكيت، أحمد باب الصنهاجي (ت 1036هـ/ 1627م)، كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج، تحق: أبو

يعقوب المنصور[1] أبعد من ذلك بمحاولته عدم ربط شرعية الدولة بفتاوي الفقهاء والحد من سلطتهم [2].

ثالثاً: موقف فقهاء قرطبة في عصر الموحدين

لقد كان الفقهاء المالكية الاكثر معارضة لفكرة مهدوية ابن تومرت، بل لم يترددوا في المشاركة في الثورات ضده ومن هؤلاء **الفقيه أبو الفضل عياض بن موسى(ت 544 هـ / 1149م)** عندما ظهر امر الموحدين بادر إلى الدخول في طاعتهم وسار إلى لقاء عبد المؤمن بن علي[3] في مدينة سلا[4] سنة (540 هـ/ 1145م) فأكرمه عبد المؤمن وقربه اليه بيد انه ولأسباب غير واضحة تغير فجاءة ضد الموحدين ولم يلبث أن حرض أهل مدينة المرية على الخروج فثاروا على واليها، وقتلوه ومن معه من الموحدين غير ان عبد المؤمن تدارك الأمر و ارسل لأهل سبته والقاضي عياض قوة من الجيش فخاف القاضي عياض واعتذر عما جرى و بعث إلى القائد الموحدي بيعته وبيعة أهل سبته، لكن عبد المؤمن طلب من القاضي عياض الإقامة بمراكش وقتل فيما بعد على يد ابن تومرت بعد معارضته لفكره[5]. والفقيه **عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد الأزدي الأندلسي (ت581 هـ/ 1185 م)** وصف بالبارع والورع ولزوم السنة ادي وشاعر صاحب لتصانيف (الأحكام الصغرى، والأحكام الوسطى، الأحكام الكبرى[131][6]، كان الموحدون قد عرضوا عليه القضاء فأبى فلما غزا بنو غانية بجاية في محاولة منهم لإحياء دولة المرابطين سنة (580هـ/ 1184م) سارع لتأييدهم وتولي القضاء لهم، فغضب منه الموحدون وحاولوا قتله لكنه توفي قبل أن يستعيد الموحدون بجاية من بني غانية

يحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم، (بيروت، 2002م)، ص 331.

(1) أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور بالله (556 – 596ه / 1160 – 1199): ثالث خلفاء الموحدين في بلاد المغرب. بعد وفاة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن سنة (580هـ / 1184م) اجتمع أهل الشورى من الموحدين فبايعوه وعقدوا له الولاية ولقبوه بالمنصور. ينظر: ابن آيبك، الوافي بالوفيات، ج29، ص 5.

(2) الفاسي، ابي الحسن علي بن عبد لله بن أبي زرع (ت 726هـ / 1326 م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحق: كارل بوحن نوربورغ، دار اويسال، (المغرب، د.ت)، ص 167–168.

(3) عبد المؤمن بن علي الكومي (487هـ/ 1094م – 558هـ/ 1163م): مؤسس دولة الموحدين التي تزعمها ابن تومرت ضد المرابطين، وحكمها من مدينة مراكش ما بين سنتي (سنة 1147م حتى 1163م)، فكان أول من وحّد كامل المغرب العربي فحكمها دولة واحدة هي والأندلس وجعلها تحت عقيدة واحدة وتحت حكومة واحدة. ينظر: التنوخي، التنبيه على مبادئ التوجيه، ج1، ص25.

(4) مدينة سلا: تقع بأقصى المغرب ليس بعدها معمور إلّا مدينة صغيرة يقال لها غرنيطوف، متوسطة المساحة تقع على زاوية من الأرض قد حاذاها البحر والنهر، وفي غربها اختط عبد المؤمن مدينة وسماها المهدية، كان ينزلها إذا أراد إبرام أمر وتجهيز جيش. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص231.

(5) أبن العربي الاشبيلي، محمد بن عبد الله أبو بكر المالكي (ت 543هـ/ 1148م)، العواصم من القواصم، تحق: محب الدين الخطيب، مطبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، (المملكة العربية السعودية، 1419هـ)، ص19.

(6) الذهبي، تاريخ الإسلام، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج43، ص 317.

ذلك[1].

والفقيه **أبو الطاهر عمارة بن يحيى القرطبي** (ت 585هـ/ 1189م) تولى القضاء في مدينة بجاية وقرطبة، وله مؤلفات في علم الفرائض، وتواشيحه في نهاية الحسن وبها يضرب المثل[2]، فلما غزا بنو غانية بجاية امتدحهم وانشد بين ايديهم، وخطب لهم يوم الجمعة وقال «**الحمد لله الذي اعاد الأمر إلى نصابه وآزاله من ايدي غصابه**». فلما استعاد الموحدون بجاية قبضوا عليه وسجنوه ثم عفو عنه بعد مدة[3]. والفقيه **أبو عبد الله علي بن محمد بن رزين الجزيري (ت 692 هـ/ 1293م)**[4]، الذي قام بثورة ضد عهد المنصور الموحدي (580-595هـ/ 1184-1199م) سنة (586هـ/ 1190م) بمدينة مراكش، وغلف ثورته بشعارات دينية، وأعتمد على التأويل والمتشابهات، وراح ينكر على الموحدين مظاهر الأبهة والانحراف عن تعاليم المنصور المضطهدة[5].

ويبدو ان الفقهاء لم يكونوا على علاقة ودية مع الدولة الموحدية بسبب فكرة (مهدوية بن تومرت) وبسبب نفور الموحدين من المذهب المالكي، مذهب غالبية فقهاء قرطبة وأصبحوا عاجزين عن الدفاع عن قرطبة بسبب سفكهم الدماء ومقارعة من يقف ضدهم ولو بكلمة حق حتى انهارت قواعد دولتهم وسقطت على يد بني مرين سنة (669 هـ / 1270 م).

الخاتمة:

توصلت الباحثة من خلال دراستها لعدد من النتائج المهمة منها:

1. كانوا علماء قرطبة قد رحلوا الى الحجاز ودرسوا على يد الإمام مالك فنقلوا مذهبه الى الاندلس. وذلك منذ أيام الأمير هشام بن عبد الرحمن وقد انتقلت الفتوى تبعا لذلك الى راي مالك بن انس وانتشر علمه ورأيه في قرطبة والاندلس جميعا بل في شمال افريقيا ايضاً وقد وضع الامام مالك في المدينة كتابا في الفقه والحديث (الموطأ) أي السهل الواضح ثم ذاع صيت هذا الامام وانتشر كتابه في العالم الإسلامي واقبل الأندلسيون على اعتناق مذهبه.

2. كان للعلماء دور رئيسي في حل الخلافات بين ملوك الطوائف وجمع كلمتهم، وفي التحريض والدعوة الى الوحدة بين المسلمين لمواجهة الخطر النصراني، ونتج عن تلك الدعوة مثال يحتذى به التحدي والتصدي الإسلامي للمشروع النصراني، الهادف الى القضاء على الوجود.

3. كانت من نتائج ثورة الربض هو توطيد الحكم للإمارة الأموية وبروز دور الفقهاء كأصحاب الكلمة في تحرير العامة من الظلم والاستبداد.

4. ان اختيار قرطبة لتكون حاضرة للأندلس جاء

---

(1) القنوجي، صديق بن حسن (ت 1307 هـ/ 1889 م)، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (قطر، 2007 م)، ص164.

(2) الغِبْرِيني، أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (ت 714هـ/ 1314 م)، عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة، تحق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، ط2، (بيروت، 1979م)، ص45.

(3) الغِبْرِيني، عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة، ص46.

(4) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج 1،ص323

(5) حسن، أبراهيم على، يعقوب المنصور الموحدي، الدار البيضاء، (المغرب، 1986م)، ص79.

لإعادة التنظيم الإداري ولتامين الجبهة الداخلية لان قرطبة تقع في قلب الاندلس ما يسهل على السلطة الحاكمة ضبط البلاد منها وأيضا لأهمية موقعها على نهر الوالي الكبير عند تقاطع طرق الاندلس التجارية اعطتها أهمية كبرى في العالم الإسلامي.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أبن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ/ 1259 م).

1. التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، (بيروت، 1995م).

- أبن الأثير ، ابو الحسن علي (ت 630 هـ / 1232م).

2. الكامل في التاريخ ، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط2 ، (بيروت ،1415هـ).

- الإشبيلي محمد بن الحسن بن عبيد الله (ت 379هـ/ 989 م).

3. طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف للنشر ، ط2، (مصر ، د.ت) .

- ابو الأَصْبَغ ، عيسى بن سهل بن عبد الله (ت 486هـ/ 1093م).

4. الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، تحقيق : يحيي مراد، دار الحديث، (القاهرة ، 2007 م) .

- أبن أيبك ، صلاح الدين خليل (ت 764هـ / 1362 م) .

5. الوافي بالوفيات، تحقيق : أحمد الأرناؤوط ، تركي مصطفى ، دار إحياء التراث، (بيروت، د.ت) .

- الباجي ، أبو الوليد سليمان بن خلف الاندلسي، (ت 474هـ/ 1082م)

6. الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل ، تحقيق : محمد علي فركوس ، المكتبة المكية ، (مكة المكرمة ، 1996م)

- أبن بشكوال ، أبو القاسم خلف (ت 578 هـ/ 1182م) .

7. الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي للنشر ، ط2 ، (د.م ، 1955 م).

- الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة (ت 279هـ/ 892 م).

8. السنن ، تحقيق : إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2 ، (مصر ،1975 م).

- التُّنْبُكْتي، أحمد باب الصنهاجي (ت 1036 هـ / 1627م).

9. كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج ، تحقيق: ابو يحيى عبد الله الكندري ، دار ابن حزم ، (بيروت، 2002م) .

- التنوخي ، أبو الطاهر إبراهيم بن عبد الصمد (ت 536هـ/ 1141 م)

10. التنبيه على مبادئ التوجيه ، تحقيق: محمد بلحسان، دار ابن حزم، (بيروت، 2007 م).

- الثعلبي ، أبو إسحاق أحمد بن محمد (427هـ / 1035م) .

11. تفسير الثعلبي ، تحقيق : أبي محمد بن عاشور، تحقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي (بيروت ، 2002م).

- ابو جعفر الضبي، أحمد بن يحيى (ت 599هـ/ 1202م).

12. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي ، (القاهرة، 1967 م).
• أبن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد (ت 456ه / 1063 م).
13. جمهرة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، ط3 ، (بيروت ، 2003 م).
• الحميدي، محمد بن فتوح بن عبدالله الأزدي (488هـ/ 1095م).
14. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر ،(القاهرة، 1996م) .
• أبن خلكان ، ابو العباس شمس الدين (ت 681هـ / 1282 م)
15. وفيات الأعيان و انباء أبناء الزمان ، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، د.ط ، (لبنان ، د.ت) .
• الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد (ت748هـ/ 1347م) .
16. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي للنشر، (بيروت، 1987 م) .
• سبط ابن الجوزي، شمس الدين (ت 654 هـ/ 1256م).
17. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، تحقيق ، محمد بركات، كامل محمد الخراط، عمار ريحاوي، وآخرون، دار الرسالة العالمية، (دمشق، 2013م).
• السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد (ت 902هـ/ 1496م).
18. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة ، (بيروت، د.ت)
• أبن سعيد المغربي ، أبو الحسن على (ت 685هـ / 1286م).
19. المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف ، ط3 ، (القاهرة، 1955م).
• السلاوي، شهاب الدين أبو العباس أحمد (ت 1315هـ/ 1897م) .
20. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب ، (المغرب ، د.ت).
• السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ / 1505م).
21. اتمام الدراية لقراء النقاية ، تحقيق : إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1985م).
• الشنتريني ، أبو الحسن علي بن بسام (ت 542هـ/ 1137 م) .
22. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب ، (تونس، 1979م) .
• أبن شيبة الكوفي ، أبو بكر عبد الله (ت 235هـ / 946 م).
23. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد، (الرياض، 1409 هـ).
• الضبي ، أحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم (ت 415هـ/ 1024 م)
24. اللباب في الفقه الشافعي ، تحقيق: عبد الكريم بن صنيتان العمري، دار البخاري،(المملكة العربية السعودية ، 1416هـ).
• ابو طالب المكي، ابن علي بن عطية ، (386 هـ / 996م).
25. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف

طريق المريد إلى مقام التوحيد ، تحقيق : عاصم إبراهيم الكيالي ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، (بيروت، 2005 م) .
• أبن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد (ت 713هـ/ 1295م).
26.البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق : ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة للنشر، ط3 ، (د.م، 1983م).
• العرب ، محمد بن أحمد بن تميم (ت 333هـ/ 944م) .
27. طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، (بيروت ، د.ت).
• ابن العربي الاشبيلي، محمد بن عبد الله (ت 543هـ/ 1148م).
28. العواصم من القواصم، تحقيق : محب الدين الخطيب، مطبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، (المملكة العربية السعودية، 1419هـ).
• الغِبْرِيني ، أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت 714هـ/ 1314 م) .
29. عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة، تحقيق : عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، ط2،(بيروت، 1979 م).
• الفاسي ، محمد بن أحمد بن علي (ت 832هـ/ 1428م).
30. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 2000م).
• الفاسي، ابي الحسن علي بن عبد لله بن ابي زرع (ت 726هـ/ 1326م).
31.الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: كارل بوحن نوربورغ، دار اويسال، (المغرب ، د.ت).
• أبن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد (ت 799/ هـ1397م).
32. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدي، دار التراث، (القاهرة، د.ت).
• أبن الفرضي، عبد الله بن محمد (ت 403ه / 1012 م) .
33. تاريخ علماء الأندلس، مكتبة الخانجي، ط2 ، (القاهرة ، 1988 م).
• القاضي ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي البستي أبو الفضل (ت 544هـ / 1150م) .
33 . الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض ، تحقيق: ماهر زهير جرار ، دار الغرب الإسلامي ، (د.م، 1982م) .
• القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (671هـ / 1272م)
34. الجامع لأحكام القرآن ، دار الشعب، (القاهرة، د.ت) .
• القنوجي، صديق بن حسن (ت 1307 هـ / 1889 م) .
35. التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (قطر، 2007 م).
• لسان الدين ابن الخطيب، محمد (ت 776هـ / 1374م).
36.الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1424)
• أبن ماكولا ، علي بن هبة الله بن ابي نصر (ت

475هـ / 1082 م) .
37.الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى ، دار الكتب العلمية للنشر، (بيروت، 1411هـ).
• المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت 703هـ/ 1303م) .
38. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، (تونس، 2012م).
• المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي محيي الدين (ت 647هـ/ 1250م)
39. المعجب في تلخيص اخبار المغرب من لدن فتح الاندلس الى اخر عصر الموحدين، تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، (بيروت ، 2006م) .
• المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 1041هـ/ 1631م).
40.أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق : ابراهيم الأبياري، عبد الحفيظ الشلبي، مصطفى الشيبا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة ، 1942 م).
• ياقوت الحموي ، ابو عبد الله (ت626هـ/ 1228م).
41. معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت .
• المراجع
• حسن، أبراهيم حسن
1. يعقوب المنصور الموحدي، الدار البيضاء، (المغرب، 1986م).
• الخلف ، سالم بن عبد الله .
2. نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، دار عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، (المملكة العربية السعودية، 2003م).
• السامرائي، خليل إبراهيم ، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مصلوب .
3. تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة ، (بيروت، 2000 م).
• عباس ، إحسان .
4. تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، دار الثقافة ، (بيروت، 1960م) .
• مخلوف ، محمد بن محمد .
5. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2003 م).

الرسائل والاطاريح

• ياسين ، معالي محمد علي.
1. الأوضاع العلمية في الأندلس خلال عصر الإمارة الأموية وعلاقاتها مع بلاد المغرب والمشرق، رسالة ماجستير (منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، (فلسطين، 2017م) .